

المحور 8: تطبيقات البنيوية التكوينية في النقد العربي.

تجربة "يمنى العيد" في كتاب (في معرفة النص)

تقديم :

على الرغم من الأهمية التي يكتسبها كتاب الناقد اللبنانية "يمنى العيد" (في معرفة النص) ، في التعريف بالمنهج البنيوي الشكلي والمنهجي الجولدماني إلا أن منظورها لهذا الأخير لم يرق إلى الطموح النظري والواقع التطبيقي . فكان في عرضها المنهجي تداخل بين المنهج "الشكلي" والمنهج "الاجتماعي" والمنهج "البنيوي التكويني" ولا يدري القارئ إن كانت الباحثة **يمنى العيد** من الشكلايين أم من البنيويين التكوينيين، أم من الاجتماعيين الجدليين. ويمكن أن نجد تفسيراً ولو مؤقتاً لهذه الخلطة المنهجية إلى عدم وضوح رؤية وأهداف الناقد النظرية منها والتطبيقية. كما أن طبيعة الكتاب نفسه والتي لم تخضع لتصور منهجي مسبق" ، وهي التي طبعت بهذا الطابع اللامنهجي، لأن الدراسة في أساسها لم تكن مؤسسة على رؤية منهجية واضحة الأهداف والتصورات.

التصور المنهجي والاشتغال :

- على المستوى النظري: أعلنت "**يمنى العيد**" عن منهجها الذي تحرص أن يكون ماركسيا في مفاهيمه وأدواته الإجرائية، فقالت "إني اخترت العمل على النص انطلاقاً من هذا التيار أي (الماركسي) في خطوطه العريضة واستناداً إلى الفكر الماركسي في مفهومه للعلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية، التي يتميز بها الأدب. لا لينعزل بل ليستقل وليبقى في استقلاله قولاً لما هو حاضر فيه.. أحاول النظر في العلاقات الداخلية في النص دون عزله ودون انغلاقه على نفسه"

. ما هو طموح الباحثة النظري؟ وما هو تصورها للمنهج البنيوي والمنهج الواقعي؟
يشير عنوان الدراسة التي قدمتها **يمنى العيد** عن البنيوية وعن الواقعية إلى المنظور النقدي للباحثة عن تصورها

المنهجي للبنيوية التكوينية. وهو منظور يدل على قصور الباحثة في فهم المنهج "**الجولدماني**". إذ تصورته على أنه تركيب بين منهجين كما رأينا عند "**محمد بنيس**" فقامت بتقديم تصور لها لمفاهيم البنيوية (النسق التزامن. التعاقب . الطابع اللاوعي للظواهر) وللخطوات الإجرائية للكشف عن البنية وعناصرها والقوانين التي تحكم علاقاتها. كل هذا اصطاحت الباحثة على تسميته [بالداخل الخارج] وتعني (الداخل) عناصر البنية وتحليلها ودراستها لكن هذا الإجراء يبقى غير كاف. ما لم تتم مساءلة (الخارج) الذي يعني في مفهوم الباحثة : البحث عن المجال الثقافي والاجتماعي الذي يبني فيه النص الأدبي. فالداخل في التصور الباحثة موجود في الخارج .

- تنتقل "**يمنى العيد**" إلى توضيح منهج آخر دون أن تحدد مفهوم دقيقاً توصيفه ، ولا ندري إن كانت الباحثة تقصد بذلك المنهج الاجتماعي الجدلي أم المنهج البنيوي التكويني، فالمسألة في غاية الغموض والتعقيد وفي هذا تليفق منهجي لأن الباحثة لم تحسم الأمر. ربما يكون هذا راجعاً لقراءتها في المناهج النقدية ذات الطبيعة الجدلية ولا يوجد في الكتاب ما يشير إلى قراءات الباحثة للمنهج البنيوي التكويني، فلا أثر للإحالات والهوامش من جهة ولا وجود لسرد لقائمة المراجع الأساسية للدراسة.

- أما على مستوى التطبيق حيث تبرز الفجوة القائمة بين التنظير والتطبيق، فقد انكشف عن الممارسات النقدية التي أنجزتها الناقدة، أنه يصعب على الباحث تحديد طبيعتها وهويتها النقدية، إذ حاولت تجريب مفاهيم (الكلية والإيقاع الداخلي والرؤية) على مقاطع شعرية "المحمود درويش" فقاربت عنصر الإيقاع من خلال عدة مستويات والشاهد هنا أن الباحثة ظهرت في ثوب البنيوي الشكلاني إنما توقفت عند عنصر الإيقاع الداخلي باعتباره مصدرا للموسيقى ومصدرا للدلالة، وكان تركيزها على (الإيقاع الداخلي) لأنه "جذع مشترك تلتقي فيه دلالات عدة في النص" وكأني بالباحثة في ممارستها هذه كانت تجرب مفهوما أكثر مما كانت تجرب منهجا نقديا حيث عزلت النص عزلا تاما، وحصرت كل شيء في عنصر واحد.

خاتمة :

إجمالا يمكن أن نقول إن جهود الناقدة "يمنى العيد" تشتتت في ممارستها النقدية بين المنهج البنيوي الشكلي، والاجتماعي الجدلي، دون إن توفق في تأسيس مقارنة بنيوية تكوينية، كما كانت تطمح، وذلك لأن محاولاتها لم تكن مؤسسة على رؤية منهجية شاملة ووفية لمبادئ المقاربة "الغولدمانية"،- على الأقل- لأن نظرتها للبنوية التكوينية كانت مبنية على التركيب والمزج، أي أنها نظرة قائمة على الجمع بين المناهج دون مراعاة لخصوصية وطبيعة وأصول منظومة كل منهج..